وشرح كلمة العتابي فقال : والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولَّدين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن نكون قد فهمنا عنه ، ونحن قد فهمنا عن النبطي الذي قيل له : لم اشتريت هذه الأتان ؟ قال :أركبها وتلد لي[1] . وقد علمنا أن معناه كان صحيحاً ..... فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والإغلاق والإبانة ،والملحون والمعرب، كله سواءً وكله بياناً، وكيف يكون ذلك كله بياناً ؟ ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه .ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم،كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي ، وإن كان هذا الاسم إنما يستحقونه بأنا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم ، فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بصغاء السنور كثيراً من إرادته ، وكذلك الكلب والحمار والصبيّ الرضيع .

(١) يعني أنه لفظها مفتوحة اللام والصواب كسرها .